University of Tehran Press

Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Online ISSN: 3092-6475

An Ecofeminist Reading of the Novel *Sayyidat Zuhal* by Lutfiya Al-Dulaimi

Mahin Hajizadeh[1*] | Abdolahad Gheibi[2] | Mayeh Gozal Bahman[3]

1. Corresponding Author, Professor, Department of Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran. E-mail: Hajizadeh@azaruniv.ac.ir
2. Department of Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran. E-mail: Abdolahad@azaruniv.ac.ir
3. Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran. E-mail: maya.bahman@gmail.com

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received: 13 July 2025
Revised: 01 January 2026
Accepted: 30 March 2026
Published Online: 13 June 2026

Keywords:
Ecofeminism
Nature
Women
Lutfiya Al-Dulaimi
Sayyidat Zuhal.

ABSTRACT

In the context of modern geopolitical and environmental transformations, ecofeminism in the context of the geopolitical and environmental transformations witnessed in the modern era, Ecofeminism has emerged as a critical theoretical framework that embodies the dialectical interconnection between the issue of women and the environmental crisis. Ecofeminism is situated at the intersection of the destruction of nature and social oppression. This theory, as a contemporary political movement, stems from the conviction that the ideologies that oppress based on gender, race, and class are the very same ones that permit the exploitation and spoiling of nature. The study adopted a descriptive-analytical methodology to trace the manifestations of Ecofeminism within its two schools: the Cultural School**,** which asserts a metaphysical symmetry between femininity and nature; and the Social School**,** which reveals the mechanisms of their exploitation within the patriarchal capitalist system. This study aims to analyze the ecofeminist components in the narrative discourse of Lutifa Al-Dailaimi through her novel "Sayyidat Zuhal" (The Ladies of Saturn)**,** considering it a model of Arab feminist literature that reshapes environmental awareness through a gendered lens. The results revealed that the novel text embodies, through sophisticated narrative techniques, the duality of "Woman-Nature" as a joint victim of modern wars, where ecological symbolism (date palms, rivers, animals) is employed as mirrors reflecting violations against the female body. The research also highlighted how the novel transforms spaces of environmental devastation into arenas for female resistance**,** thereby reshaping the concepts of "homeland" and "identity" through the linkage of feminist liberation and environmental liberation. This reading confirms that, through the ecofeminist model, Al-Dailaimi presents a critical vision of the Anthropocene (the current geological epoch), where violence against women and the environment becomes an indicator of the contemporary civilization's crisis.

Cite this article: Hajizadeh, M.; Gheibi, A. & Bahman, M. (2026). An Ecofeminist Reading of the Novel *Sayyidat Zuhal* by Lutfiya Al-Dulaimi. *Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry*. 22 (2), 211-228. http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.398527.1516

© Authors retain the copyright and full publishing rights.
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.398527.1516

جامعة طهران

ابن المقفع في القص والقصيد

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦٤٧٥-٣٠٩٢

القراءة النسوية البيئية لرواية "سيدات زحل" للكاتبة لطفية الدليمي

مهين حاجي‌زاده[١*] | عبدالأحد غيبي[٢] | مايه گوزل بهمن[٣]

١.الكاتبة المسؤولة، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران. البريد الإلكتروني: Hajizadeh@azaruniv.ac.ir

٢. قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران. البريد الإلكتروني: Abdolahad@azaruniv.ac.ir

٣. قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران. البريد الإلكتروني: maya.bahman@gmail.com

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخ‌هاي مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٧/١٣
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٦/٠١/٠١
تأريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٥/٣٠
تأريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٦/١٣

الكلمات الرئيسة:
النسوية البيئية
الطبيعة
المرأة
لطفية الدليمي
سيدات زحل.

الملخص

في سياق التحولات الجيوسياسية والبيئية التي يشهدها العصر الحديث، برزت النسوية البيئية أو "الإيكوفيميني "كإطار نظري نقدي يجسد التلاحم الجدلي بين قضية المرأة وأزمة البيئة. تقع النسوية البيئية فى نقطة التقاطع بين دمار الطبيعة و الاضطهاد الإجتماعي وهذه النظرية كحركة سياسية راهنة تنطق من قناعة أن الايديولوجيات التي تظلم على أساس النوع الاجتماعي والعرقي والطبقي، هي ذاتها التي تسمح باستغلال الطبيعة وإفسادها. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع تجليات الإيكوفيمينية بمدرستيها: الثقافية التي تؤكد على التماثل الميتافيزيقي بين الأنوثة والطبيعة، والاجتماعية التي تكشف آليات استغلالهما في المنظومة الرأسمالية الأبوية. و تحاول أن تحلل المكونات الإيكوفيمينية في الخطاب الروائي لـ "لطفية الدليمي" من خلال روايتها "سيدات زحل"، باعتبارها نموذجاً للأدب النسوي العربي الذي يعيد تشكيل الوعي البيئي عبر منظور جندري. وكشفت النتائج أن النص الروائي يجسد عبر تقنيات سردية متطورة ثنائية "المرأة-الطبيعة" كضحية مشتركة للحروب الحديثة، حيث يتم توظيف الرمزية البيئية (أشجار النخيل، الأنهار، الحيوانات) كمرايا تعكس انتهاكات الجسد الأنثوي. كما أبرز البحث أنّه كيف تحوّل الرواية فضاءات الدمار البيئي إلى ساحات للمقاومة الأنثوية، معيدةً تشكيل مفهومي "الوطن" و"الهوية" عبر الربط بين التحرر النسوي والتحرر البيئي. تؤكد هذه القراءة أن الدليمي تقدم من خلال النموذج الإيكوفيميني رؤية نقدية للأنثروبوسين (العصر الجيولوجي الحالي)، حيث يصبح العنف ضد المرأة والبيئة مؤشراً على أزمة الحضارة المعاصرة.

العنوان: حاجي‌زاده، مهين؛ غيبي، عبدالأحد و بهمن، مايه گوزل (٢٠٢٦). القراءة النسوية البيئية لرواية "سيدات زحل" للكاتبة لطفية الدليمي. ابن المقفع في القص والقصيد، ٢٢ (٢) ٢١١-٢٢٨.

http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.398527.1516

© المؤلفون.

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.398527.1516

المقدمة

النسوية حقل فكري وأدبي راسخ، غير أن تجليها في إطار نقدي جديد يدرس العلاقة الجدلية بين المرأة والبيئة، حيث يعدّ تطورًا حديث العهد في المشهد الثقافي. تتنوع التيارات النسوية في منطلقاتها الفكرية واستراتيجيات عملها، فمنها ما بعد الحداثية والوجودية والسلمية والدينية والإيكولوجية، وغيرها. ورغم تداخل هذه التوجهات وغياب الحدود الحادة بينها، فإن تعددية آرائها وتنوع مقارباتها تؤكدان على رفض النسويات للنظريات الشمولية الأحادية، وتؤمن بأن السعي نحو الوعي هو، في جوهره، فعل نظري وممارسة سياسية متكاملة.(أبوت ووالاس، ١٣٨٧ش: ٣٢٣).

تشكلت الجمعيات الأنثوية بالتوجّه الخاص تجاه القضايا البيئية والاستغلال المفرط للموارد الطبيعية لتشكيل اتجاه جديد في النقاشات النسوية تحت مفهوم "الإيكوفيمينيزم" الذي يمزج بين علم البيئة والنسوية (مرادي، ١٤٠٢ش: ٢٢٠). يعد الإيكوفيمينيزم أو النسوية البيئية نهجًا "ما بعد حداثي" و"ما بعد بنيوي"، نشأ من تقاطع الموجة الثالثة للنسوية والدراسات البيئية برؤية تفكيكية، ويسعى إلى تفسير العلاقة بين المرأة والطبيعة عبر المنظورين الثقافي والاجتماعي، وتحليل أسباب نشوء هذه العلاقة (عاطفه بور وآخرون، ١٤٠٢ش: ١٣٣).

يتميز هذا النهج بكونه سياسيًا، لأن الإيكوفيمينستيات يعتقدن أن التغيير في هياكل السلطة يحدث فقط عندما يُنظر إليه كقضية سياسية، ولن يتحقق أي تغيير ما لم تتحول قضية المرأة من الشأن الخاص إلى المطلب السياسي (عاطفه بور وآخرون، ١٤٠٢ش: ١٣٧). يعتقد الإيكوفيمينيزم أن أي جهد لتحرير المرأة أو أي مجموعة مضطهدة لن ينجح إلا إذا بُذل جهد موازٍ لتحرير الطبيعة (پارساپور، ١٤٠٠ش: ٢٩).

تُعْتَبَرُ النساءُ أقرب إلى الطبيعة من الرجال بسبب قدرتهن على الإنجاب، وهو ما يستخدم لتبرير هيمنة الرجال عليهن. تصور الأيديولوجية الذكورية عمل الرجال على أنه مهم وضروري، بينما تُقلل من قيمة عمل النساء ووظائفهن الإنجابية، مما يعزز مكانة الرجال المهيمنة (أبوت ووالاس، ١٣٨٧ش: ٢٧). لطالما لعب الرجال دورًا أكبر في خلق الأزمات مثل الحروب، ولا شك في أن معظم الأضرار البيئية ناتجة عن الدمار الذي تسببه الحروب الذكورية (مرادي، ١٤٠٢ش: ٢٣٧). ورغم أن عواقب هذا الدمار تؤثر على الرجال أيضًا، إلا أن المرأة تتحمل العبء الأكبر.

لطفية الدليمي واحدة من أبرز الروائيات العراقيات المعاصرات، وهي تؤمن بحرية الفكر والحقوق القانونية للإنسان، خاصة المرأة، في عيش حياة سعيدة. في رواية سيدات زحل، تروي الكاتبة بلغة مؤثرة قصة خمس نساء عراقيات في خضم حرب مدمرة. حرب بدأت بحجة إقامة الديمقراطية وإسقاط الديكتاتورية، لكنها أثرت بشدة على حياة هؤلاء النساء وكشفت الوجه الحقيقي للحرب والمجتمع الأبوي. سبب اختيار هذه الرواية هو تعدد الشخصيات النسائية فيها واهتمام الكاتبة الخاص بالطبيعة. ولدت الدليمي في مدينة «بهرز» الصغيرة ذات الطبيعة الخلابة في العراق، المشهورة بخصوبة أراضيها وتنوع فواكهها. تقول الكاتبة:«سألوني: لو لم تكوني كاتبةً، ماذا كنتِ ستصبحين؟؟ كنتُ سأصبح فلاحة، مزارعة، حراثة أرضٍ، أنشىء مشتلاً للزهور، أو أكون زارعة قمح على السفوح، فلاحة بساتين برتقال ونخيل وأعناب، حاصدة غلال، أجمع مياسيم الزعفران، أزرع الياسمين عند الأبواب الحزينة، أزرع فسائل النخل على الضفاف المهجورة، أعمل قاطفة تين وزعرور وعناب، أكتب على الأرض ما كنتُ سأدونه على الورق، ألا يكفي هذا لأغدو سعيدة؟» (مطر وآخرون، ٢٠١٩م: ٦٣٨). تتمتع الدليمي برؤية بيئية واضحة، وهو ما يظهر في كتاباتها.

في هذا البحث، ندرس علاقات النساء بالطبيعة، ومحاولات النظام الأبوي للسيطرة على النساء والطبيعة وتأثيرات الحرب المتزامنة عليهما من منظور إيكوفيمينستي، مع الإجابة على السؤالين التاليين:

١. كيف يعبر النص عن التضامن الجندري-البيئي بين شخصياته النسوية والفضاء الطبيعي؟
٢. ما آليات خطاب الهيمنة الذكورية المزدوج على المرأة والبيئة في سياق الحرب؟

خلفية البحث

بما أنّ نظرية الإيكوفيمينيزم تُعَدُّ منهجًا جديدًا في النقد الأدبي، وقد لفتت انتباه النقاد في العقود الأخيرة، فإن الدراسات البحثية في هذا المجال لا تزال حديثة العهد. يمكن رصد الخلفية البحثية لهذا المنهج في الأدب العربي من خلال الأعمال التالية:

أعد جعفر طهماسبي وزملاؤه مقالًا بعنوان «خوانش اكوفمينيستى اشعار سوزان عليوان و گلرخسار صفى آوا با تكيه بر نظريه ژانت هنشال» مجلة «ادب عربى» الايرانية سنة ١٤٠١ش. حيث تناول الباحثون في هذه الدراسة العلاقة بين المرأة والطبيعة والرابط بين الهيمنة على المرأة والطبيعة، ودور النساء في حل المشكلات الإيكولوجية من خلال تحليل مقارن لأشعار الشاعرتين وتوصلوا إلى أن نظرتهما للطبيعة كانت تراحمية مثل نظرتهما للمرأة، ورأيا أن الحل الوحيد لأزمة البيئة هو إعادة إحياء العلاقة الأصلية بين النساء والطبيعة وتعزيز العودة إليها.

أما مينا غانمي أصل عربي وزملاؤها فقد كتبوا مقالًا معنونا بـ «تمظهرات الإيكوفمينزم في شعر الشاعرة اللبنانية ناريمان علوش» مجلة «فصلنامه لسان مبين» الايرانية سنة١٣٩٨ش، حيث حاولوا إبراز أوجه التشابه بين المرأة والطبيعة من خلال تحليل الكتابة الأنثوية في شعر هذه الشاعرة. ووجدوا أن تجليات هذا التيار ظهرت في رد فعل الشاعرة تجاه الأرض بهدف متابعة موضوعين متشابهين هما النسوية والإيكولوجيا، ثم الانضمام إلى التيار الإيكولوجي المرتكز على الطبيعة.

وكتب إيمان مطر السلطاني وزملاؤها مقالًا بعنوان «نسق النسوية البئية في رواية حديقة حياة للطفية الديلمي» مجلة *Route Educational & Social Science Journal* سنة٢٠١٩م، حيث درسوا في هذا البحث قصة حياة أم وابنة فقدتا شريك حياتهما من منظور إيكوفيميني وخلصوا إلى أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة ليست علاقة طبيعية فحسب، بل هي فلسفة وجود تشكل همًا عالميًا موحدًا.

ومن الدراسات الأخرى التي تناولت الأسس النظرية لمنهج الإيكوفيمينيزم، نجد مقال مصطفى النشار بعنوان «النسوية الايكولوجية مسعى نقدي لتظهير مبانيها ومعاثرها» مجلة «الاستغراب» اللبنانية ٢٠١٩م. حيث يتناول الكاتب في هذا المقال الأسس النظرية للإيكوفيمينيزم، ويخلص في النهاية – ومن منظور إسلامي – إلى أن المرأة ليست أقرب إلى الطبيعة من الرجل – كما تدعي الإيكوفيمينستيات – وأن الرجال لا يحدثون فسادًا في الطبيعة أكثر من النساء، بل إن المعيار هو التقوى والالتزام بالعدل والرحمة، وهذه كلها صفات الإنسان المؤمن سواء كان رجلاً أو امرأة.

وفي سياق استعراض الخلفية البحثية حول رواية "سيدات زحل"، يمكن الإشارة إلى الدراسات التالية:

«ویژگی‌های گفتمان زنانه در رمان عراق: مطالعه موردی رمان نساء زحل اثر لطفیه الدلیمی» أطروحة قدمها محمود درویش محمد سنة ١٤٠٢ش بجامعة قم الايرانية. حيث ركز الباحث في هذه الأطروحة على تحليل البنية اللغوية والكتابة الأنثوية في الرواية وخلص إلى أن المأساة تتجلى في الخطاب الأنثوي من خلال الانقطاع الزماني والمكاني والانقسام الشخصي.

ونشرت حوراء عزيز عليوي مقالاً بعنوان «ثنائية الأنا والآخر في رواية سيدات زحل للروائية لطفية الدليمي» مجلة «كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية» بجامعة بابل العراقية سنة ٢٠١٧م، حيث تناولت ثنائية الذات والآخر في الرواية، وركزت في دراستها على الأنثوية ومظاهرها وعلاقتها بالآخر المتمثل في الرجل.

كما أجرت صبحة أحمد علقم بحثاً بعنوان "رواية سيدات زحل: رؤية نسوية للخراب" (٢٠١٥م)، حيث درست الرواية من منظور نسوي واعتبرتها رواية نسوية، وحللت عناصرها الأساسية بما في ذلك الأحداث والشخصيات وغيرها من هذا المنظور.

وكتب سامح الرواشدة مقالاً بعنوان "المرأة وذكورية الحرب في رواية سيدات زحل" في مجلة "دراسات أفكار" الأردنية سنة ٢٠١٣م العدد ٢٩٦، حيث تناول الرواية من حيث العنوان وبداية الحكاية وتاريخ بغداد وحكايات النساء والحرب وتخيلات التحرر، وعرض وجهة نظر النساء تجاه الحرب والرجال.

من خلال استعراض الدراسات السابقة، يتضح أن القراءة الإيكوفيمينية لرواية "سيدات زحل" تمثل دراسة جديدة في هذا المجال، حيث يسعى هذا البحث إلى استكشاف طبقة أخرى من هذا العمل من منظور النسوية والإيكولوجيا.

الإطار النظري

أدى الربط بين قضايا الإيكولوجيا وقضايا ومنظورات دراسات النوع الاجتماعي إلى ظهور النسوية البيئية التي تطورت لتصبح متنوعة للغاية وتشكل فرعًا مهمًا من النقد البيئي (پارساپور، ١٣٩٦ش: ١١٨). ويعتقد أن الفيلسوفة الفرنسية فرانسواز دوبون[1] هي من صكّت المصطلح فى ١٩٧٤، غير أن بعض الكتاب يفترضون أن الكلمة ظهرت في عدة أماكن في الفترة ذاتها (هوليمانس، ٢٠٢٣:٥). فيما يتعلّق بتاريخ تكوين مصطلح النسوية البيئية[2] يتكون المصطلح من شطرين أساسين هما كلمتي (Eco) و(Feminism) أما كلمة (Eco) فهي مختصرة كلمة (Ecology) التي جاءت من كلمة (Oikos) اليونانية، و تأتي بمعنى البيت أو من يسكنون البيت (جواري، ١٣٩٧: ١٢٩). نشأت النسوية البيئية أو الإيكوفيمينيزم من تقاطع الحركات البيئية والموجة الثالثة للنسوية، وربطت بين نجاح تحقيق أهداف هذين التيارين (پارساپور، ١٤٠٠ش: ٢٧).

النسوية الايكولوجية تقدم إطار لأخلاق نسوية و بيئية متميزة حيث تنبثق من الارتباط الملموس الذي ينظر له بين الهيمنة على النساء و الهيمنة على الطبيعة (النشار، ٢٠١٩: ٢١٩). من بين الأعمال الأولى في هذا المجال كتابات شيلا كولينز[3]، أنيت كولودني[4]، هنري ثورو[5]، جون بوروز[6]، جون موير[7]، ليوبولد[8] وغيرهم (پارساپور، ١٣٩٦ش: ٤). مبدأ العمل الأساسي للنسويات البيئية هي مكافحة التقسيم الطبقي والإجتماعي، والطبقية، والإستغلال، والهيمنة، والسلطة (إسماعيل مصطفى، ٢٠٢٥: ٩١٥).

يعرّف بعضهم مثل آرييل صالح – مؤلفة كتاب "الإيكوفيمينيزم كسياسة" – النسوية البيئية كفرع من النسوية ترى أن أزمة البيئة العالمية هي نتيجة مباشرة للثقافة الأبوية والأيديولوجيا المسيطرة (دوستي، ١٣٩٨ش: ٧٦). بينما تعتبر جريتا جارد[9] أن المركزية البشرية وأهداف النظام الرأسمالي والطبقي الهرمي هي السبب الرئيسي للأزمة البيئية، وترى أن هذا الهيكل ذكوري (إسماعيلي خوشمردان ومزاري، ١٤٠٠ش: ١١).

من بين المنظرات البارزات روزماري رادرفورد روتر[10]، عالمة اللاهوت النسوية المسيحية وأستاذة الفلسفة والأنثروبولوجيا في كتابها "المرأة الجديدة، الأرض الجديدة" (١٩٧٥م)، تؤكد بقوة على علاقة حركات المرأة بقضية البيئة، وتعتقد أن تغيير النظرة القائمة على الهيمنة ضروري لتحقيق تقدم في أي من المجالين (دوستي، ١٣٩٨ش: ٧٥).

تقسم بلوموود[11] إحدى المؤيدات للفلسفة النسوية الإيكولوجية الاشتراكية، الإيكوفيمينيزم إلى فرعين رئيسيين: الثقافي والاجتماعي. يعتمد الاختلاف بينهما على طريقة النظر إلى العلاقة بين المرأة والطبيعة. يميل الإيكوفيمينيزم الثقافي إلى ربط المرأة بالطبيعة، معتقدًا أن النساء لديهن فهم خاص للطبيعة بسبب خصائصهن. يركز هذا التيار على نقطتين: التقارب البيولوجي بين المرأة والطبيعة، وخصائص الحمل والولادة التي تُعتبر مصدر قوة للنشاط البيئي (پارساپور، ١٤٠٠ش: ٣٠). وهكذا اتفق رواد النسوية الايكولوجية على أن هناك علاقات هامة بين السيطرة على المرأة و السيطرة على الطبيعة، وأن فهم هذه علاقات ضرورية للنسوية و الفلسفة البيئية على حد السواء، كما أن الهدف من تواجد الحركة النسوية البيئية هو تسليط الضوء على وجود سيطرة مزدوجة للمرأة و الطبيعة (شقعار، ٢٠٢٤: ٥٣٣).

1. Françoise d'Eaubonne
2. Eco feminism
3. Sheila Collins
4. Annette Kolodny
5. Henry Thoreau
6. John Burrows
7. John Muir
8. Leopold
9. Greta Gaard
10. Rosemary Radford Ruether
11. Plumwood

في الإيكوفيمينيزم الاجتماعي، يفترض أن النساء والطبقات المهمشة الأخرى والطبيعة يتعرضون للاضطهاد والاستغلال بسبب هياكل السلطة في نظام الهيمنة. الرؤية العالمية السائدة تعامل النساء والمجموعات المهمشة اجتماعيًا كما تعامل المكونات البيئية المهمشة (عاطفه‌پور وآخرون، ١٤٠٢ش: ١٣٣). على عكس الإيكوفيمينيزم الثقافي الذي يربط الرجال بالثقافة والنساء بالطبيعة، ترى النسوية الاجتماعية أن النساء كائنات ثقافية. يعتقد أتباع هذا التيار أن الثقافات الأمومية لم تسع للسيطرة على الطبيعة. في الثقافات الغربية، بدأ قمع الثقافة الأمومية والهيمنة على الطبيعة في الوقت نفسه، وباختصار، تم اعتبار النساء والطبيعة "الآخر" لخلق ثقافة جديدة (پارساپور، ١٤٠٠ش: ٣١).

لذلك يمكن القول :إن المرأة والطبيعة ضحيتان للتفوق، كما كتبت سيمون دي بوفوار[1] في كتابها الشهير "الجنس الآخر": "الطبيعة هي أحد المجالات التي درستها النساء (النسويات) بجمال. للفتيات الصغيرات، وللمرأة التي لم تُحرم بعد تمامًا، تمثل الطبيعة نفس العلاقة التي تربط النساء بالرجال: هي المرأة ونفيها، مملكتها ومنفاها، الكلية في صورة الآخر (ذكاوت، ١٣٩٧ش: ٥٨). وفي الواقع، أحد الجوانب المعروفة في المجتمعات الأمومية هو غياب العنف والعدوان والحرب. من المحتمل أن تزايد حب الطبيعة وحركات الحفاظ عليها – مثل حركة الخضر في أوروبا – هو نتيجة مباشرة لدور النساء النشط في المجتمعات (منجم، ١٣٨١ش: ١١٢). يركز منظرو الإيكوفيمينيزم على ثلاث قضايا رئيسية:

١. تعايش المرأة مع الطبيعة
٢. العلاقة بين استغلال المرأة والطبيعة
٣. دور النساء في حل المشكلات البيئية (عنايت وفتح زاده، ١٣٨٨ش: ٤٧).

أصبح تدمير الموارد الطبيعية والمشكلات البيئية من هموم الإنسان المعاصر. أدت دراسة أبعاد هذه المشكلات وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية والإنسانية إلى الاهتمام بدور الإنسان في تفاقم أو تقليل الأضرار البيئية (إسماعيلي خوشمردان ومزاري، ١٤٠٠ش: ٥). تتهم النسوية البيئية، الرجل، والعقلية القبلية الرجولية، والنظام الرأسمالي، بإستغلال الطبيعة وتغيير ملامحها، وتحميلها ما لا تحتمل من الضغط والثقل، الأمر الذي يؤدي إلى الإخلال بتوازن الطبيعة، وفقدان كثير من مقومات الحياة، تضرر الحيوانات، والبهائم، والنباتات، والمناخ، ثم يعود ذلک بالضرر على الطبيعة مرة أخرى (مطر وأخرون، ٢٠١٩: ٦٣٠). هذا النهج التوفيقي، نتاج تقاطع الدراسات البيئية وما بعد النسوية، طرح لأول مرة خطاب الهيمنة والبيئة والنوع الاجتماعي مترابطًا. يعد الربط بين المرأة والطبيعة واعتبار الهوية البيئية أنثوية من الموضوعات الرئيسية في فلسفة الإيكوفيمينيزم (عاطفه پور وآخرون، ١٤٠٢ش: ١٣٦).

التعريف بالرواية

رواية "سيدات زحل" للكاتبة والروائية العراقية المعاصرة لطفية الدليمي، صدرت لأول مرة عام ٢٠٠٩م. تعكس الرواية أجواء الحرب والاحتلال الأمريكي للعراق، كما تصور الوضع الاجتماعي المتردي والمعاناة المزدوجة التي تتحملها النساء. تمثل هذه الرواية في جوهرها سيرة المرأة عبر التاريخ. بطل الرواية : "حياة البابلي"،التي تعمل صحفية في مجلة. تبدأ القصة وهي في بحثها عن هويتها الحقيقية وبقيت فى خرسها وهي تنتقل بين مخبأها فى السرداب وغرف البيت والحديقة في حينها تسعى للإجابة على الأسئلة التي تشغل بالها من خلال البحث عن عمها الشيخ قيدار. تتمحور الرواية حول تقلبات حياة شخصياتها النسائية (هالة، منار، راوية، لمى، هيلين) وقسوة الحرب وظلها المشؤوم على حياتهن. تستخدم الكاتبة العناصر الطبيعية لتعكس الظروف الحريمة والمشاعر العميقة للشخصيات. تظهر الطبيعة هنا كرمز للحياة والقوة والصمود في مواجهة الدمار الذي تخلفه الحرب تكشف الرواية عن العلاقة العميقة بين النساء والبيئة، حيث تلجأ الشخصيات النسائية إلى الطبيعة كملاذ من أزمات الحياة وتحدياتها. يمنح المزج بين الصور الطبيعية والأزمات الإنسانية القارئ فرصة للتعمق في مشاعر الشخصيات وتجاربها وفهم التأثيرات الواسعة للحرب على كل من الطبيعة والإنسان.

1 . Simone de Beauvoir

تحليل الرواية من منظور إيكوفيميني

تتحدث رواية سيدات زحل عن قصة الحرب والمصير المأساوي للنساء، حيث تعمد الراوية إلى إخفاء أسماء الشخصيات النسائية لإبراز أن هذه القصة تمثل مصير جميع النساء. هنا، نناقش الرواية لاستكشاف:

١. علاقة النساء بالطبيعة كما تجلت في الرواية
٢. مظاهر هيمنة النظام الأبوي على المرأة والطبيعة في النص

تظهر الرواية كيف تصبح الطبيعة ملاذًا للنساء في مواجهة قسوة الحرب، وكيف تعكس معاناتهن معاناة الطبيعة ذاتها من الدمار. من خلال هذا المنظور، تكشف الكاتبة عن التشابه في مصير المرأة والطبيعة كضحايا للهيمنة الذكورية والحرب.

الصلة بين المرأة والطبيعة

إن للنساء في الإيكوفيمينيزم علاقة معنوية بالطبيعة، ويعزى أصل هذه العلاقة إلى العصر الأسطوري. في الإيكوفيمينيزم الاجتماعي، ينظر إلى هذه العلاقة على أنه له جذور اجتماعية وتاريخية ورواد النسوية البيئية أنه شكل أساسًا للهيمنة المزدوجة على النساء والطبيعة (عاطفه پور وآخرون، ١٤٠٢ش: ١٤٥).

بعد أن تفقد الشخصية الرئيسية "حياة البابلي" أفراد عائلتها في الحرب، تصاب بحالة من الهذيان بسبب الضغط النفسي، فتشعر بأنها أصيبت بحالة الغيبوبة وتسمع صوتًا يشبه صوت أبيها يحيط بها كغطاء من النور. في هذه الأثناء، ترى نفسها شجرة برتقال تفوح عطرًا في الظلام الخفيف. يخبرها الصوت بأنه يحبها برائحة الأعشاب والزهور البرية، ويذكرها بفيضان الأنهار وضحكات الحمام البري، ويخبرها بأنها "شجرة المباهج وآية بقائه بين العالمين:

«صِرتُ شَجرةَ بُرتقالٍ تَفوحُ وَسطَ الظلمةِ الخفيفةِ، قالَ لي: إنَّه يُحبّني بِرائِحةِ العُشبِ والزهورِ البَريّةِ، قالَ إنّني أذكرُه بطوفانِ الأنهارِ وضَحَكاتِ اليَمامِ، قالَ لي أنتِ شَجرةُ المباهجِ وآيةُ بقائي بينَ العالمين» (الدليمي، ٢٠١٥م: ١٣)

هذه الفقرة تصور علاقة وثيقة ومتبادلة بين المرأة والطبيعة. تستخدم الكاتبة استعارات مثل "شجرة برتقال تفوح" و"رائحة الأعشاب والزهور البرية" لإظهار العلاقة الوثيقة بين المرأة والطبيعة. تظهر هنا عملية التأنيث الرمزي للطبيعة (جعل الطبيعة أنثوية) وتطبيع المرأة (ربطها بالعناصر الطبيعية) بشكل واضح. تحوّل البطلة إلى شجرة برتقال، وهو تجسيد للاتحاد الميتافيزيقي بين الجسد الأنثوي والطبيعة، حيث تذوب الحدود بين الذات والعالم الطبيعي. والظلمة "الخفيفة" ترمز إلى اللايقين الوجودي للمرأة، بينما شجرة البرتقال (رمز الخصوبة الدائمة) تصبح علامة على الصمود البيئي-النسوي. عبارة "آية بقائي بين العالمين" تشير إلى الدور الوسيط للمرأة كجسر بين العالم الطبيعي والعالم الإنساني.

هذا المقطع يجسّد أحد أهم مبادئ الإيكوفيمينستية: الجسد الأنثوي ليس مجرد كيان بيولوجي، بل هو نصّ طبيعي-ثقافي تُكتَب عليه صراعات السلطة والمعرفة. الدليمي تستخدم الاستعارة النباتية لتفكيك التمييز بين الثقافة (المجال الذكوري) والطبيعة (المجال الأنثوي) وتقديم رؤية بديلة قائمة على التكامل. الشجرة في الرمزية الأسطورية العالمية ترمز للمرأة وجميع رموز الأنوثة والأمومة، لأنها تحمل في داخلها جوانب مثل التغذية والتظليل والدعم من الجدة الطبيعة المسؤولة عن الخصوبة ومنع الدمار. لذلك غالبًا ما تُصور الأشجار على شكل امرأة أو مصاحبة لها. بينما تكون جذورها في الأرض ومرتبطة بمياه الحياة، فإن الخير والكمال يُرمزان غالبًا بصورة المرأة (پورخالقي، ١٣٨٠ش: ٩٣).

صورة أخرى لهذا التشابه تظهر عندما تقول "أم حياة" في وصف نضج ابنتها: «كم كَبرتِ يا حياةُ؟؟ البناتُ يَنضِجنَ بِسُرعةِ كَثِمارِ الصَّيفِ»(الدليمي، ٢٠١٥م: ١٢٠). تستخدم الكاتبة صورة "ثمار الصيف" لإظهار سرعة نمو الفتيات وبلوغهن، مما يعكس ارتباط النساء بالطبيعة وعملياتها الطبيعية. تجسد العبارة تنضجن بسرعة ثمار الصيف الرؤية الايكوفيمينستية الجوهرية التي تربط الجسد الأنثوي بالزمن البيولوجي للطبيعة حيث يصبح نضج الفتيات جزءا من دورة حياة النبات. السريع للثمار/الفتيات ليس ظاهرة طبيعية بل نتيجة للتلاعب

البشري زراعيًا واجتماعيًا. الكاتبة تنتقد الخطاب الرعوي الذي يُضفي شرعية على استعجال نضج الفتيات تحت شعار "جمال الطبيعة"، مذكّرة بأطروحة كارولين ميرشانت عن تحويل الطبيعة والمرأة إلى "حدائق مسيَّجة" تخدم النظام الأبوي (Merchant: 1980).

تبحث حياة البابلي في بداية القصة عن هويتها الحقيقية. هي لا تعرف حقًا إن كانت حياة البابلي أم آسية كنعان، لذا تبحث عن أي إشارة تساعدها في تحديد هويتها، حتى تهبط حمامة حزينة على حافة نافذتها، تجذب انتباهها وتنظر في عينيها. يبدو صوت الحمامة وكأنه يخبرها بدرجة حرارة النهار، وكأن الحمامة تعرفها وتؤكد لها أنها حياة. هنا تخلق الدليمي رابطًا بين الحمامة وحياة البابلي لمساعدتها في اكتشاف هويتها، موضحة الارتباط العميق بين طبيعة المرأة والطبيعة:

«حَطت حمامةٌ حزينةٌ عَلى طنفِ النافذةِ ونَظرَت إليّ، عَيناها حَبتَا عقيقٌ قرمزيتانِ لَعلَّها هي ذاتُها حمامةُ ظهيراتِ الصَّيفِ الّتي يَخبرني هديلُها بدرجةِ حرارةِ النّهارِ، كأنَّها عَرَفتني، كأنّها أكَّدت لي أنّني حياةٌ» (الديلمي، ٢٠١٥م: ١٩).

النظرة المتبادلة بين البطلة والحمامة – بتفاصيلها الحسية مثل "عينان حبتا عقيق" – تشير إلى اتحاد روحي يتجاوز التواصل البشري التقليدي. هديل الحمامة الذي ينذر بدرجة حرارة النهار ليس مجرد إشارة طقسية، بل يصبح لغة سرية تمكّن البطلة من تأكيد هويتها ("أكّدت لي أنني حياة"). هنا، تقدم الطبيعة (ممثلةً بالحمامة) دعمًا عاطفيًا ومعرفيًا تعجز الثقافة الذكورية عن تقديمه، مما يعكس الفكرة الإيكوفيمينستية الأساسية عن الطبيعة كحليف نسويّ في مواجهة الاغتراب الاجتماعي.

من معتقدات الإيكوفيمينستيات أن النساء أقرب إلى الطبيعة وأكثر حساسية للتغيرات البيئية، وأن نظرتهن للطبيعة تختلف عن نظرة الرجال. لا تستطيع حياة أن تبقى غير مبالية بخراب الحرب الذي يحيط بمدينتها، فهي لا تستطيع أن تتوقف عن التفكير في مسقط رأسها الذي ينهب أمام عينيها. حتى أنها تكتب اسم المدينة على كف يدها وتقبض عليها قبل النوم كي لا تفقدها في أحلامها:

«أكتبُ اسمَها على راحةِ يَدي وأقبضُها وأنامُ كي لا تَضيعَ في أحلامي، المدينةُ صارَت كلمةً صغيرةً والكلماتُ لا تموتُ كما كنتُ أتخيَّلُ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٩).

تحول الاقتباس الشعرية المدينة إلى كلمة صغيرة ضمن استعارة مفهومية تنتقد النموذج الحكري الذكوري القائم على الهيمنة والاستبعاد، فالمدينة هنا ليست مجرد فضاء مادي بل هي بنية رمزية تعكس علاقات القوة. عملية كتابة الاسم على راحة اليد وقبضه تمثل استراتيجية مقاومة أنثوية بيئية تقوم على التملك الرمزي الحميم، وتأكيد الهوية الأنثوية في مواجهة نسيان النظام الحضري المسيطر. الربط بين خوف ضياع الاسم في الأحلام وخلود الكلمات يطرح مقارنة بين هشاشة الوجود الأنثوي في المدينة وثبات القيم البيئية البديلة التي تمثلها "الكلمات" ككائنات حية لا تموت، مما يؤسس لأساس معرفي نسوي بيئي يرى في اللغة والذاكرة أدوات لإعادة تشكيل العالم خارج إطار المركزية البشرية الذكورية.

هذا السلوك يظهر كيف تحوّل النساء – وفق الإيكوفيمينيزم – الكارثة البيئية إلى صراع وجودي شخصي، بعكس الرؤية الذكورية التي تعامل الدمار كمجرد خسارة موارد. لطالما كانت للنساء علاقة وثيقة وحساسة بالطبيعة، ويمكن القول إن أحد أسباب هذه العلاقة هو السمات المشتركة بين النساء والطبيعة، مما يجعلهن أكثر فهمًا للطبيعة من الرجال. تخيط شروق، الأخت الكبرى للمى، فستانًا من زهور ملونة لها، حيث يثير تصميم الفستان طبيعتهما الفطرية، فتقول:

«نحنُ النّساءُ مولعاتٌ بالرّقةِ والجمالِ، هل تَظنينَ أنّ رجلاً سَتعنيهِ ألوانَ الزهورِ أو رقّةِ النَّسيجِ كما نَفعلُ؟؟ أُنظري إلى أثرِ الزهورِ فِينا (كانت شروقُ تَعملُ في مركزِ بُحوثِ زِراعِي)، أنتِ الآنَ حقلُ ورودٍ، حَقلُ أنوثةٍ فريدٌ مِن نَوعِهِ، الرّجالُ لايَقدرونَ فِتنةَ الحقولِ وَغِوايةِ الزهرةِ وعبيرِ العشبِ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٤٨).

يبرز هذا المشهد الحساسية الأنثوية الفريدة تجاه الطبيعة، والتي تختلف جوهريًا عن الرؤية الذكورية. تصبح شروق هنا صوتًا للعلاقة العضوية بين المرأة والطبيعة:

١. الرقة كلغة حوار: اختيار الزهور والألوان والنسيج الناعم ليس مجرد ذوق جمالي، بل لغة تواصل حميمة مع العالم الطبيعي، تعكس قدرة النساء على قراءة التفاصيل الدقيقة التي غالبًا ما يغفلها الرجال.

٢. الجمال كإدراك وجودي: عندما تقول شروق "الرجال لا يقدرون فتنة الحقول"، فهي تشير إلى أن إحساس المرأة بالجمال ليس سطحياً، بل هو وعي كامل بقدسية الحياة وهدوئها – ما يجعلها أكثر انسجاماً مع إيقاعات الطبيعة.

٣. التقمص العاطفي: تحويل المى إلى "حقل ورود" يظهر قدرة المرأة على التوحد العاطفي مع العناصر الطبيعية، بحيث يصبح التميز بين الذات والطبيعة غير واضح – وهي ظاهرة نادراً ما نجدها في التجربة الذكورية.

هذه الحساسية المفرطة ليست ضعفاً، بل قوة حدسية تمكن النساء من استشعار الخطر البيئي والأزمات الوجودية قبل الرجال. تحلم حياة بإعادة الاتصال بالطبيعة، حلمًا كانت قد اختبرته في الماضي. إنها تحب الأسطح والهواء والمشي على الأرض ورائحة التراب والشمس، لكنها بسبب ظروف الحرب محاصرة في قبو يضيق قلبها وتحيط بها أفكار مرعبة:

«أنا إنسانة تحب السطوح والهواء والسير على الأرض ورائحة التراب والشمس، السرداب ينقبض قلبي وأفكر بأمور مروعة» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٦٦).

هذا الموقف ليس مجرد تفضيل شخصي، بل بيان إيكوفيمينستي مصغر يربط بين تحرر الجسد الأنثوي وتحرر الأرض من سيطرة العقلانية التقنية. عزلها في مكان ضيق ومظلم يفصلها عن العالم الذي تنتمي إليه، ويسبب لها القلق. يمكن أن يمثل هذا الفضاء المحدود القيود الاجتماعية والثقافية التي تواجهها النساء، حيث يعبر هذا الخوف عن حاجتهن إلى الفضاء المفتوح والطبيعي لتجربة الحرية. والتركيز على الروائح والمشي حافيًا يكشف عن ذكاء بيئي خاص بالنساء، حيث تستخدم الحواس (اللمس، الشم) كأدوات للمعرفة، بعكس المعرفة الذكورية المجردة التي تعتمد على القياسات المادية.

ترى حياة بغداد وسط النيران والرماد تحتضر، حيث يسمع أنينها من أعماق دجلة، شريان المدينة. يؤدي تعاطف حياة مع الأرض المحترقة إلى شعورها بألم الطبيعة في داخلها، آلام تموج في رحمها وتغمر وجودها:

«خلال مسيرتي وسط الحرائق وأنا أتعثر بالجثث، تهب في وجهي رياح محملة بالرماد. بغداد تحتضر أمامي، أسمع أنينها الداهري يتصاعد من أعماق دجلة. في تلك اللحظات المريعة، تفجر في أحشائي ألم كثيف كالمجنون، ماجت في رحمي أوجاع، كظمت صراخي وتهاويت بين أعمدة شارع الرشيد المحترق. رأيت بستان نخل وشجر برتقال وجداول تتدفق، وحولي جراء ذئب وسرب من الإوز العراقي وقرود بيضاء تتقافز وتشاكس بعضها» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٨٥).

هنا يمكن رؤية التماهي بين المرأة والطبيعة واهتمامها العميق، وكأن أي مصيبة تصيب الطبيعة تصيبها هي. فى الواقع «علاقة المرأة بالأرض تشكل جزءًا من هويتها وأصالتها، وتدفع الرجال إلى مجال الثقافة وضد الطبيعة»(دوستي، ١٣٩٨ش: ٨٠). يقدّم هذا المقطع رؤيةً وجوديةً مروّعة للدمار البيئي–الحضاري من خلال عدسة الجسد الأنثوي، حيث تتحول الأنثى إلى مرآةٍ تعكس مأساة الأرض. النص ينسج علاقةً تراجيديةً بين الخراب الخارجي (حرائق بغداد، جثث الضحايا، دجلة المتألمة) والانهيار الداخلي (ألم الرحم، الصراع المكبوت)، في صورة تذوب فيها الحدود بين الذات والمدينة والطبيعة. اللغة هنا تصبح جسدًا نازفًا: فكما تتهاوى أعمدة شارع الرشيد، تتهاوى البطلة تحت وطأة الألم، وكما ينبعث الرماد من الحرائق، ينبعث الألم من أحشائها. لكن وسط هذا الدمار، تبرز رؤية نسوية مقاومة تتمثل في الذاكرة البيولوجية للجسد الأنثوي الذي يحتفظ بصورة حية للطبيعة المفقودة (بساتين النخيل، الجداول، الكائنات الحية)، كأنما يقول النص: ما دام الجسد الأنثوي يحتفظ بهذه الصور، تظل الحياة قادرةً على النهوض من الرماد. هذه ليست مجرد استعارة، بل إعادة تعريف للعلاقة بين الأنثى والطبيعة: فالأولى ليست ضحيةً سلبيةً للثانية المحتضرة، بل حارسةً لروحها، وشاهدةً على جرائم الحرب ضد الأرض والإنسان معًا.

بعد زواجها، تواجه حياة البابلي عالمًا لا يتوافق مع توقعاتها. هذه الحياة ليست كما تخيلتها عندما كانت ترسم أحلامها على السحب والماء. كانت تتمنى أن يحبها رجل من نار وماء، لكن الواقع مختلف عن خيالها، مما يجعلها تصاب بالاكتئاب. زوجها، الذي يدرك ارتباطها الروحي بالطبيعة، يخطر بباله أن يزرع لها حديقة من الزهور والأشجار ليعيد إليها الحيوية:

«حياة، هل تحبين أن أزرع لك الحديقة بالسوسن البنفسجي وأشجار الليلك والبنفسج الإفريقي؟» (الدليمي، ٢٠١٥م: ١٤٨).

تظهر هذه العبارة سمات أنثوية مثل الجمال والحساسية، كما تعتبر الحديقة ملاذًا للمرأة من ضغوط الحياة. يمكن رؤية الارتباط الروحي بين المرأة والطبيعة أيضًا عندما تطلب أم حياة من ابنتها أن تأخذها إلى البستان لترى موسم قطف التمر آخر مرة قبل موتها:

«حياة خذيني إلى البساتين، هذه الأيام موسم قطاف التمر، أريد أن أرى ذلك مرة أخيرة قبل موتي» (الدليمي، ٢٠١٥م: ١٢٠).

تحذرنا الكاتبة من أن الحضارة والتحضر لا يجب أن تعني الابتعاد عن الطبيعة، لأن ذلك سيؤدي إلى خداع الذات وموت الروح تدريجيًا (پارساپور، ١٣٩٧ش: ٤٨). في الثقافة الهندية، التي ما زالت تحتفظ ببعض التقاليد الأمومية، تعتبر الشجرة روح الإنسان ورفيقه في الحياة (دوستي، ١٣٩٨ش: ٨٦). عندما كانت حياة تبحث عن عمها قيدار، قابلت بستانياً عجوزاً بمظهر آسيوي، كان قد ورث بذوراً عن جده وحافظ على نموها وزراعتها. انضم هذا البستاني الباحث إلى مجموعة سرية عالمية تسمى "حراس كنوز الجمال"، وفي هذا المكان نجح في زراعة بذور الزهور وإنبات عدد منها. وبما أن حياة وصلت إليه في اليوم الذي اكتملت فيه الزهرة، وضع آخر زهرة بين يديها وطلب منها الانتظار حتى نهاية الحرب، ثم زراعة البذرة بعد ظهور العلامة. وعندما سألته حياة عن اسم الزهرة، أجاب بأنه أطلق عليها اسم "زهرة أوكيناوا" أو "زهرة الخلاص.

بما أن الرعاية والتربية من السمات الأساسية المرتبطة بالمرأة، والأجيال بشرية تربى وتنمو تحت رعاية النساء، اختارت الكاتبة في هذه الرواية شخصية امرأة لزراعة آخر بذور الزهرة التي خضعت لسنوات من البحث والدراسة من قبل شخصية أخرى. وبذلك، تسند مسؤولية استمرار النوع البشري إلى الشخصية الأنثوية، ومن خلال تسمية الزهرة بـ"زهرة الخلاص"، يبدو أن الكاتبة تقدم المرأة كمُنقذة للطبيعة الميتة بعد الدمار...

«وَمضَت خمسةُ أعوامٍ وأنا أعملُ وأواصلُ تجاربي لإنباتِها أعطتني حتّى الآن بضعةَ زهورٍ وهذه الأخيرة بينَ يدَيكِ ... -لماذا أنا؟؟- كلُّ شيءٍ في عالمِنا يتمُّ بِمَحضِ مُصادفةٍ، أنتِ وصلتِ يومَ اكتمالِها، المصادِفةُ دَفَعَت بكِ إليَّ، أنا أومنُ بِسُلطةِ المصادفاتِ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٣٠٥).

في الواقع، قضاء خمس سنوات في زراعة نبتة واحدة يعكس صبراً وجهداً كبيرين. هذا الفعل يرمز إلى العلاقة الوطيدة بين الإنسان والطبيعة، وإلى الحاجة إلى بذل الوقت والطاقة للرعاية. كما أن وصول "حياة" في لحظة تفتح الزهرة يرمز إلى الاتصال العميق بين الإنسان والطبيعة، وكأن الطبيعة نفسها اختارت هذه اللحظة للقاء. «تشير شيري أورتنر[1]، عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية، إلى أن هذا انعكاس للاختلافات الفسيولوجية بين المرأة والرجل، فبسبب علاقة النساء الوطيدة بالطبيعة المتّصلة بقضية الإنجاب، غالباً ما يُنظر إلى النساء على أنهن جزء من الطبيعة أكثر من الرجال» (نجات وطاهري، ١٤٠١ش: ١٦٦).

في موضع آخر من الرواية، عندما أراد حامد أبو طيور، الذي كان يعتني بالطيور، أن يعهد برعايتها إلى شخص ما، أسندها إلى حياة.

« ست حياة...عزيزتُنا، إذا غبتُ أو متُّ تكَلَّفي بِرعايةِ طيوري، سَتحبُّكِ الطّيورُ وبوُسعِكِ كَسبُ وُدّها، أنتِ الّتي غَمرتِ الجميعَ بِحنانِكِ وخَلقتِ بنا في عالمٍ من أحلامٍ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٣٢).

من المؤكد أن العلاقة الوثيقة بين النساء والطبيعة، والجوهر الداخلي للمرأة القائم على الرعاية، هو ما دفع الكاتبة إلى اختيار شخصية أنثوية لهذا الدور. هي توصف المرأة بأنها "من غمرت الجميع بحنانها" يعكس تعاطفها ولطفها، وهي سمة غالباً ما تنسب إلى النساء، مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الأنثى والعناية. كما أن الاعتقاد بأن الطيور يمكن أن تكنّ المودة لشخص معين يظهر فهماً عميقاً لقدرة الإنسان على التواصل مع الكائنات الأخرى.

السلطة المزدوجة على المرأة والطبيعة

تشدد النساء الناشطات في حركات الإيكوفيمينيزم أو الفيمينيزم البيئي على أن النساء يتضررن بشكل أساسي أكثر من الرجال من

1. Sherry Ortner

تدهور البيئة والتلوث، وأن تدمير البيئة هو فعل ذكوري في جوهره، وبالتالي يطالبن بتغيير في التكنولوجيا والنظم الاقتصادية الذكورية. في الفيمينيزم السلمي، ينطلق التصور من أن النساء، لأسباب بيولوجية أو ثقافية، يكنّ أكثر اهتماماً بالحفاظ على الحياة والسلام، بينما الحرب هي تجسيد للعدوانية الذكورية. لذا تحاول هذه المجموعة من النسويات، عبر الضغط على المؤسسات الحكومية وزيادة تمثيل النساء في مراكز صنع القرار، التأثير على السياسات العدوانية التي يتبناها الرجال (پارساپور، ١٣٩٦ش: ١٨). ترى النسويات البيئيات أن الاستغلال والقمع الذي يمارسه الرجال ضد الطبيعة يشبه الظلم والقهر الذي تعانيه النساء على أيدي الرجال (مرادي، ١٤٠٢ش: ٢٢٦).

وجه الحرب القاسي يدفن الجمال تحت التراب والنار، ويدمر كل ما في الطبيعة. يعرف الرجال تقليدياً كمحاربين، ورغم أنهم أيضاً يتأثرون بالحروب، إلا أن الضرر الذي يلحق بالطبيعة والنساء يكون أعمق وأحياناً غير قابل للإصلاح. يمكن ملاحظة علاقة واضحة بين شخصيات النساء في الرواية والطبيعة. حياة ترى بيتها وأزهارها وغيرهما على حافة الموت وسط فوضى الحرب والقصف المتكرر:

«غَرقتُ في موجِ المرآةِ حتّى أوشكتُ على الاختناقِ، بِجهدٍ انتشلتُ نفسي مِن المياهِ وأفلتُ من قاعِ المرآةِ، تعالت أصواتُ انفجاراتٍ متتاليةٍ وتصاعدَت رائحةُ النيرانِ من جلدي وفاحَت من الستائرِ وتصاعد الدخانُ مِن كلِّ شيءٍ، مِن زهورِ اللاتينيا البرتقاليةِ في الحديقةِ، مِن قدحِ الماءِ مِن أصابعي وشعري مِن الكتبِ ونباتاتِ الظلِّ وقطعِ الخزفِ، دخانٌ ووهجٌ حارقٌ ملأ المكانَ. سنموتُ أنا والبيتُ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٠).

يجسّد هذا المشهد العنف المزدوج الذي تمارسه الذكورية المهيمنة ضد الطبيعة والأنثى معاً، حيث تذوب الحدود بين الدمار البيئي وانهيار الجسد الأنثوي في بوتقة واحدة. حياة هنا تصبح مرآةً للأرض المنهوبة – فكما تتصاعد الروائح الكريهة من زهور اللاتينيا المحترقة، تنبعث نفس الرائحة من جسدها وملابسها وكتبها، في صورة تكشف كيف أن النظام الأبوي الحربي يختزل كلاً من المرأة والطبيعة إلى "أجساد قابلة للتملك والتدمير". المشهد لا يصور مجرد معاناة، بل يكشف الآلية البنيوية التي تجعل من الحرب ذروةً للهيمنة الذكورية: تحويل كل ما هو أنثوي (الجسد، العاطفة، الزهور، الماء) إلى وقود للآلة العسكرية. حين تقول "سنموت أنا والبيت"، فهي تفضح الحقيقة المروعة: أن موت الطبيعة وموت الأنوثة صنوان لا يفترقان في عرف السلطة الذكورية. كما أن حياة ترى حياتها كمدينتها، كلتاهما تعانيان من قسوة الرجال:

«حياتي تقاذفَتها رياحُ الحبِّ والفقدِ و جموحِ المخيّلةِ وارتباكِ الذاكرةِ كمَثلِ مدينتي المهشَّمةِ، عصَفت بيَ وبها أعاصيرُ الحروبِ والطواعينِ منذُ ما يزيدُ على مائةٍ وثمانين سنةً فتبددنا بين ضجيجِ الخيولِ وَهَديرِ الدباباتِ وحادثاتِ العشقِ ونعيقِ الغربانِ وكيدِ الرِّجالِ ونحسِ طوالعِ النساءِ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٠).

نشاهد فى هذا النص، رؤيةً تراجيديةً للعلاقة التكافلية بين مصير الأنثى ومصير المدينة في ظلّ العنف الذكوري. تتحوّل حياة هنا إلى تجسيد رمزيّ للطبيعة المُدمّرة – فكما تتعرّض المدينة للتشظي تحت وطأة الحروب والدبابات، تتعرض حياتها الداخلية للتمزق بين العشق والفقد. التشبيه بين "أعاصير الحروب" و"كيد الرجال" يكشف النظرة الإيكوفيمينستية الجذرية التي ترى في العنف الذكوري نظاماً ثلاثياً: يستهدف الأرض، والجسد الأنثوي، والذاكرة الجمعية معاً. لكن النص يحمل بذرة مقاومة خفية: فالإشارة إلى قوة التجدد، ليست مجرد تفاؤل ساذج، بل إقرار بأن الأنوثة – مثل الطبيعة – تمتلك قدرةً لا تقهر على النهوض من الرماد. هذه القدرة تتجلى في اللغة نفسها التي تحوّل الألم إلى شعرية، والخراب إلى استعارة حية عن الصمود. حين تذوب الحدود بين جسد المرأة وخرائب المدينة، يصبح كلٌ منهما شاهداً على جرائم النظام الأبوي، وحاماً لروح المقاومة التي ترفض أن تموت. تصف حياة البابلي دمار الأشجار بعينين دامعتين، بكل تفصيل.

« احترقت بعض أشجارِ الكافورِ والصَّفصافِ والأرجوانِ، بعضُها قاوم الإهمالَ والظمأ، المروجُ جفّت وتحوَّلت بعضُ الشجيراتِ إلى لونٍ ذهبيٍّ محروقٍ، أتراها ماتت؟؟ ألوانُها النورانيةُ تحملُ الخرابَ الذي حاقَ بالمتنزه، جذوعُ أشجارِ التوتِ العتيقةِ كانت رحيمةً ومتينةً ليتوارى وراءها عاشقان...» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٦٩-٧٠).

تصوير الأشجار المحترقة والمهملة ليس مجرد وصف بيئي، بل هو استعارة قوية عن الجسد الأنثوي المنهك تحت وطأة الحروب والإهمال. اللون الذهبي المحروق للشجيرات يحمل تناقضاً مأساوياً - جمالاً يخفي الموت، تماماً كما تخفي النساء معاناتهن تحت قشرة الصبر. الأشجار هنا تتحول إلى حلفاء صامتين للنساء، فكما تقدم جذوع التوت العتيقة ملاذاً للعشاق، تصبح الطبيعة ملجأً للأنثى من قسوة العالم الذكوري. هذا المشهد يكشف عن علاقة تضامن عميقة بين المرأة والطبيعة، حيث يصبح كلاهما ضحايا لنفس النظام القمعي، وفي نفس الوقت يشكلان معاً شبكة مقاومة خفية. النص يذيب الحدود بين الدموع البشرية وجفاف المروج، بين احتراق الأشجار وحرق قلوب النساء، ليؤكد أن الدمار البيئي والإنساني وجهان لعملة واحدة في ظل الهيمنة الذكورية التي لا ترى في الطبيعة ولا المرأة سوى موارد للاستهلاك. يصور الدليمي هذه العلاقة الوطيدة بين المرأة والطبيعة، التي أنهكها العنف الذكوري:

«كلُّ ما أعرفُه أنَّ الألمَ عشيةَ اكتملَ دمارَ بغدادَ وغابت عن ناظري هيئاتُها وارتمت أشلاؤها ورؤوسٌ بينها على مفارقِ الطرقِ، كنتُ أركضُ والدماءُ تنزفُ من النخيلِ والنوافذِ والجدرانِ والأعمدةِ وأشجارِ التوتِ والجسورِ ونصبِ الحريةِ، أخوضُ فرَّ البركِ القانيةَ ورائحةُ الدمِ تعلقُ بأطرافي وثيابي وتُغثيني، رائحةٌ مستبدةٌ قديمةٌ قِدَمَ الحياة، رائحةُ تاريخِ الهلعِ... أبكي، أبكي وتَبكي معي النوافذُ والشرفاتُ المنهارةُ وأعمدةُ الكهرباءِ الميتةُ والأشجارُ المحروقةُ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٨٦).

هنا تتعاطف البطلة مع كل عنصر في الطبيعة، من النخيل إلى أعمدة الكهرباء . وتتحول حياة إلى صوت جامع لكلّ الضحايا المنسيين - من أشجار التوت إلى نصب الحرية - في صرخة وجودية واحدة. الدماء التي تنزف من النخيل والجدران معاً ليست مجرد استعارة، بل هي كشف عن الحقيقة الإيكوفيمينستية الجوهرية: أن النظام الأبوي الحربي يمزّق نسيج الحياة بكليته، حيث لا فرق بين عنف يصيب جسد امرأة وعنف يدمّر جذع شجرة. البكاء المشترك بين البطلة والنوافذ المنهارة يشكل لغةً مقاومةً ترفض الصمت المفروض، فكما تذرف الطبيعة دموعها عبر الرماد والدخان، تذرف المرأة دموعها لتصبح وحدة الألم هذه شهادةً على الجريمة الكبرى: تحويل الحياة إلى مسرح للموت. الرائحة المستبدة التي تلتصق بالبطلة هي نفسها رائحة التاريخ الذكوري المليء بالحروب، حيث تختلط روائح الدماء البشرية والنباتية في تعبير عن وحدة المصير.

هذه الرؤية تتجاوز فكرة التعاطف إلى مفهوم التشارك الوجودي، حيث تصبح الأنثى جسراً بين الأحياء والأشياء، بين الماضي والحاضر، بين الذاكرة والخراب. بكاؤها ليس ضعفاً، بل هو قوة شهادة تُسقط الأقنعة عن زيف الحضارة الذكورية التي تزعم الفصل بين الإنسان والطبيعة بينما هي تذبح كليهما بنفس السكين.

تقول سيمون دي بوفوار: إن الرجل يرغب في المرأة لأن الطبيعة تزدهر فيها أكثر ممّا تزدهر فيه، ولأن هذه الطبيعة سخِّرت بقوّة في خدمتها (دوبووار، ١٣٨٠: ٢٦٥) وهذا المعنى هو ذاته الذي يظهر في المثال الذي تقدّمه دي بوفوار حين تقول: كل عام، يلقى متسلقو الجبال حتفهم لأنهم أرادوا انتهاك جبلٍ لم تمسّ قداسته، أو حاولوا شقّ طريق جديد عبر منحدراته. هذا المفهوم يتجسّد بدقة في أسطورة الفارس الذي يشقّ طريقه بصعوبة عبر غابة من الأشواك ليقطف زهرة لم يرها أحد من قبل، فهو لا يكتشفها فقط، بل يكسر ساقها ويخضعها بذلك (دوبووار، ١٣٨٠ش: ٢٥٨-٢٥٩). وهكذا يتّضح أن العلاقة بين الرجل والمرأة، في تصور دي بوفوار ، ليست توحّدا بين كيانين، بل هي مواجهة بين من يريد امتلاك الطبيعة ومن يجسّدها؛ بين الرغبة في الكشف، والرغبة في التملّك، بين الجمال الذي يفيض بالحياة، والقوّة التي تسعى إلى إخضاعه.

الرجال دائماً ما يبحثون عن الأشياء البكر، وهذه النزعة المتأصلة فيهم تجعلهم، في علاقاتهم مع المرأة، يطالبون بـ"عذريتها" كشرطٍ للقبول. في رواية «سيدات زحل»، عندما تتزوج فتاة ريفية من شيخ بقرار من أبيها، ثم يكتشف أنها ليست عذراء، يطلّقها

الشيخ على الفور. الضغط النفسي الذي يمارسه المجتمع على البطلة يدفعها إلى البحث عن خلاصها في أحضان الطبيعة، فتنهي حياتها بإلقاء نفسها في النهر:

« لمّا اكتشف أنها غير عذراء طلقها، اختفت من القرية، وقيل أنها ألقت بنفسها في نهر ديالى عند السد في منطقة جبال حمرين...» (الدليمي، ٢٠١٥م: ١٣٩).

هنا، تطرد المرأة لانتهاكها المعيار الاجتماعي، وتهرب إلى الطبيعة. هذا يوضح أن النساء والطبيعة ينظر إليهما في العديد من المجتمعات كملكيات للرجال. بعبارة أخرى، الهيمنة الذكورية المستمدة من الثقافة والمتغلغلة في المجتمعات البشرية منذ القدم، قد حوّلت المرأة إلى كائن أدنى، مما يجعلها ترى في الطبيعة ملاذاً من هذا القهر. في الحقيقة، يظهر هذا المشهد التماثل الصارخ بين نظرة الذكورية الاستحواذية تجاه الطبيعة والمرأة معاً. فكما يطالب الرجل بـ"عذرية" المرأة كشرط لامتلاكها، ينظر المجتمع الذكوري أيضاً إلى الطبيعة البكر كمورد يجب استغلاله. الهروب الدراماتيكي للبطلة إلى النهر (كرمز للطبيعة الحاضنة) يكشف عن وحدة المصير بين الأنثى والطبيعة – كلتاهما ضحية لنفس العقلية الاستعمارية التي ترى في "البكر" قيمةً قابلةً للتملك والتلف. الانتحار في النهر ليس هزيمة، بل هو اتحاد نهائي مع الطبيعة في مواجهة نظام ذكوري يجعل من "العذرية" كحسيفاً مسلطاً على رقاب النساء والأراضي معاً.

إذن، أهم تشابه بين المرأة والطبيعة يكمن في خضوعهما معاً للقمع في مجتمع ذكوري، حيث يعتبر كلاهما الآخر (دوستي، ١٣٩٨ش: ٧٧). إن وعي المرأة بجسدها، من المنظور الإيكوفيمينستي، أمر جدير بالاهتمام (پارساپور، ١٤٠٠ش: ٣٣). لكن النساء غالباً ما يعشن في ثقافة لم يشاركن في تشكيلها وقبولها لم يكن دائماً باختيار أو وعي. إن أيديولوجية القمع العرقي والطبقي، والعالمية التي تستغل الطبيعة، تنتمي إلى نفس الجنس، وتشمل أيضاً الهيمنة غير المبررة على النساء والحيوانات والطبيعة (إسماعيل خوشمردان ومزاري، ١٤٠٠ش: ١٠).

العنف والاعتداء حاضران دائماً في المجتمع الذكوري، ويمكن رؤية أشكاله المختلفة في شخصيات النساء في الرواية. أحد أنواع هذا العنف هو العنف الجنسي، كما توضحه هذه الفقرة حيث تلجأ حياة إلى الطبيعة لتطهير نفسها من آثار اعتداء رجلٍ عليها:

« تركت السيارة وعدوت في حقل القمح الممتد نحو البراري من جهة الغرب ونحو دجلة من الشرق، قطفت قبضةً من العشب ومسحت بها وجهي ويدي، أردت أن أمحو آثار شهوة هشام عن وجهي وجلدي» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٩٦-٢٩٧).

تصوّر الطبيعة هنا، خاصة حقل القمح ونهر دجلة، كمكان آمن وطاهر للمرأة. هذا يظهر أن الطبيعة يمكن أن تكون ملاذاً من العنف والاستغلال والأذى الاجتماعي.

إحدى الشخصيات الأخرى، "هالة"، عندما تتعرض لتحرش رجل، تختار الصمت لتجنب الفضيحة:

«اسكتي، لا نريد فضائح، ستكونين أنت المذنبة في أيّة حال، أنتِ تُثيرين شهوة الرجال...» (الدليمي، ٢٠١٥ش: ١٧١).

هذه الأحداث تعكس خطاباً ذكورياً يمنح الرجال الحق في التصرف كما يشاؤون دون قيود، وهو ما يعكس النظرة الدونية للمرأة كـ"جنسٍ ثانٍ" منتج من الهيمنة الأبوية.

ناهدة هي ضحية أخرى لهذه الثقافة القمعية، عندما تعتقل في السجن ويقوم الحارس باغتصابها، فتنتحر بمجرد ظهور علامات الحمل:

«ناهدة انتحرت حين ظهرت عليها علامات الحمل، قطعت شريان رسغها بكسرة مرآة، وسهام تبكيها» (الدليمي، ٢٠١٥: ١١٤).

كما تقول سيمون دي بوفوار في كتاب الجنس الثاني: « الرجل، بمجرد كونه رجلاً، هو على حق، أما المرأة فهي في حالة انعدام الحق» (دوبووار، ١٣٨٠ش: ١٩). في الثقافة الأبوية، النساء كائنات من الدرجة الثانية، بينما يعرف الرجال أنفسهم كممثلين للعقلانية والثقافة، مما يمنحهم شرعية الهيمنة.

تأتي قوة النظام الأبوي من حصول الرجال على موارد وامتيازات هياكل السلطة داخل المنزل وخارجه، فهم وسطاء توزيعها في المجتمع (أبوت ووالاس، ١٣٨٧ش: ٣٢٤).

علاقة الرجال بالطبيعة: رؤية إيكوفيمينستية

تنظر الإيكوفيمينستيات إلى الرجال كمتمثلين لصفات الطموح والعدوانية والتدمير، خاصة فيما يتعلق بالموارد الطبيعية والبيئة، ويربطن الأزمات البيئية بالقيم الذكورية السلبية ونظرة الرجال إلى الطبيعة (پارساپور، ١٣٩٧ش: ٣٤). تشير الدراسات الإيكوفيمينستية إلى أن علاقة الرجال بالطبيعة اتخذ شكلاً استحواذياً منذ الثورة الزراعية، حيث تحوّلت الأرض من "أمّ مقدسة" إلى "مورد اقتصادي" يسيطر عليه عبر الملكية الخاصة، وهي فكرة ارتبطت بالأنظمة الأبوية. في العصر الصناعي، تعزز هذا النموذج عبر الربط بين الرجولة[1] والقدرة على التحكم في الطبيعة. في هذه الرواية، نجد أمثلة عديدة لشخصيات ذكورية تسهّل بلا مبالاة تدمير البيئة:

« عند سور مكتبة الفراهيدي كان رجلٌ آخرُ يقرفصُ على الرصيفِ ويُفرشُ أمامه مجموعةً من الرشاشاتِ والرماناتِ الناسفةِ وأمشاطِ الرصاصِ، يمسحُ بمنديلٍ وسخٍ مواسيرَ الرشاشاتِ، تغثّي نفسي لرؤيةِ الدمِ كأنه دمي، متاهةُ الدمِ تُطوّقُ كلَّ شيءٍ وتصبغُ الأرضَ والهواءَ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٦).

الأسلحة الحربية لا تنتج سوى الدمار للبشرية والطبيعة من حولها، أدوات تلطّخ كل شيء بلون الدم. يصور النص عنفاً ذكورياً يختزل الطبيعة والحياة في أدوات حرب، حيث يصبح تنظيف الأسلحة فعلاً يومياً مشوهاً يعكس هيمنة الذكورة التدميرية. مشهد الدم المتدفق كـ"متاهة" يرمز لانعدام الحدود بين تلويث الجسد والأرض، في إشارة إلى النقد الإيكوفيمينستي لربط الرجولة بالاستغلال. حضور المكتبة المهمَلة يُلمّح إلى إمكانية استبدال ثقافة السلاح بمعرفة بديلة.

لا يقتصر الدليمي على تصوير عواقب الحرب على البشر ومصائرهم، بل يوضح بتفصيل دقيق كيف يدمّر هذا الكارث البيئة:

« قام حطّابونَ لا مرئيونَ بقطعِ أشجارِ السدرِ والتوتِ والزيزفونِ والنخلِ المعمّرِ من الحدائقِ، لم يتبقَ في المدينةِ غيرَ الغبارِ الذي تُثيرُه الريحُ الجنوبيةُ المثقلةُ برطوبةِ الخليجِ وغيرِ روائحِ الحرائقِ التي تلتهمُ منذُ أيامٍ وليالٍ مباني العاصمةِ ومكتباتِها» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٢٦).

"الحطّابون غير المرئيون" (كناية عن قوى الحرب المدمرة) يقطعون أشجار السدر والتوت والزيزفون والنخيل العتيق، تاركين المدينة غارقة في الغبار. سيكون تعويض هذه الخسائر الفادحة مهمة شاقة للأرض. الحرب تبتلع كل شيء في طريقها ولا ترحم أي شيء مرتبط بالحياة:

«كان البيتُ غارقاً في الظلماتِ، الكلابُ ما عادَت تنبحُ في الليلِ والمسلّحونَ بدشاديشهم القصيرةِ ولحاهم الشعثاءِ يتقافزون بين حدائقِ بيوتِنا ويطلقون نيرانهم على كلِّ كائنٍ حيٍّ في شارعِ الطاووسِ الأزرقِ فكنا نجدُ جثثَ الضحايا وكلاباً نافقةً وقططاً وحميراً، كانوا يقتلون كلَّ ما له علاقةٌ بالحياةِ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٥٣).

يجسد النص مشهداً كابوسياً تكتنفه العنف والموت، محولاً الفضاء الحياتي اليومي إلى مذابح عمياء. تبرز الكاتبة كيف يمارس المسلحون -بتزييهم الذكوري النمطي- إرهاباً عشوائياً يستهدف سائر مظاهر الوجود، من الإنسان إلى الحيوان، في عملية تطهير قسري للفضاء من كل نبض حي. هذا المشهد يكشف رؤية نقدية للعنف الذكوري المؤسسي، الذي يتعدى استهداف البشر ليشمل الطبيعة وسائر الكائنات. اختفاء عواء الكلاب وانتشار الجثث يرمزان إلى انهيار النسقين البيئي والاجتماعي معاً، مؤكدا الترابط الجذري بين عدوانية الإنسان ضد أخيه الإنسان وعدوانيته ضد محيطه الطبيعي.

اللافت في النص التناقض الصارخ بين جمالية اسم "شارع الطاووس الأزرق" ووحشية الأحداث التي تجري فيه، مما يذكّر بزيف الخطابات التي تتغنّى بالحضارة بينما تمارس التدمير. النص، بهذا المعنى، يصبح مرآة لعالمنا المعاصر حيث تتحول الحياة إلى مجرد ساحة لصراعات القوة والهيمنة.

1. Masculinity

تصف الكاتبة الهجمات الأمريكية المدمرة بـ"مهرجان النار"، هجمات تحرق الذكريات والأشجار وتغير معالم الأرض ولون السماء:

« قواتُ الأمريكيةِ تُقيمُ مهرجانَ النارِ وتحترقُ ذاكرةَ الدهورِ وأشجارِ النخلِ على طريقِ مطارِ بغدادَ وتُغيّر خرائطَ الأرضِ ولونِ السماءِ، تقتلعُ أشجارَ الكافورِ وأجماتَ الدفلي في الطرقِ السريعةِ خشيةَ القناصينَ فتعري الشوارعَ من أنسِ الشجرِ وتختفي أشجارَ الكافورِ والطلعَ وتتشرد الحمائم والعصافيرَ، كنتُ تحت تأثيرِ نوعٍ من فقدانِ الوعي الجزئي، لعلّه من تأثيرِ سلاحٍ أُستُخدمَ في قصفِ بغدادَ» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٩١).

الأضرار التي تسببها الحروب للنساء وللعناصر الطبيعية تنبع من عواقب الثقافة الأبوية. هذا النص يصور الوجه الآخر للحرب الذي لا يتحدث عنه غالباً: تدمير الطبيعة كضحية صامتة. القوات الأمريكية هنا لا تحرق فقط البنية التحتية، بل تحرق ذاكرة المكان (أشجار النخيل) وتقتلع جذور حياته (أشجار الكافور). هذا التدمير الممنهج للبيئة يستخدم كاستراتيجية حربية، لكنه يترك وراءه أرضاً مقطوعة الأنفاس، سماء متغيرة اللون، وطيوراً مشردة. السرد يكشف أيضًا عن تأثير الحرب غير المرئى على الإنسان: "فقدان الوعي الجزئي" للراوي يشير إلى أن الأسلحة لا تقتل الأجساد فقط، بل تسمم العقول والذاكرة. النص يجعل القارئ يتساءل:هل الحرب على الطبيعة هي في الحقيقة حرب على الإنسان نفسه؟

تعرض الكاتبة مشهداً آخر للدمار الحربي:«كان المرتزقةُ المرافقون للدباباتِ يشيرونَ للصوصِ والفتيانِ أن يقتحموا المكتباتِ والمحلاتِ الكبرى التي تبيعُ أنواعَ البذورِ: بذورُ القمحِ والخضارِ والبقولِ والزهورِ، بدأوا يدحرجون أوعيةَ الصفيحِ الأسطوانيةِ المختومةِ ويقومُ بعضهم بفتحِها ونثرِ البذورِ في النارِ التي أشعلوها قبل قليلٍ في أكداسِ الكتبِ على الرصيفِ حتى أفرغوا جميعَ المحلاتِ من خزينِ البذورِ...» (الدليمي، ٢٠١٥م: ٩٧). هذه الصور قد تكون دليلاً على عداء الرجال للطبيعة من خلال نزعتهم الحربية. الكتب التي تربي الأجيال، والبذور التي تخصب الأرض وتضمن بقاء النسل، تحولت إلى رماد. هذا ليس تدميراً للمواد فحسب، بل للذاكرة وللحياة نفسها.هنا التركيز على تآزر التدمير الثقافي-البيئي كاستراتيجية ذكورية للهيمنة، حيث لا يُحرق المستقبل الغذائي فحسب، بل يحرق أيضاً الأرشيف الثقافي (الكتب).

نتيجة البحث

يمثّل الإيكوفيمينيزم (النسوية البيئية) أحد الفروع المتعددة للحركات النسوية التي تركّز على قضية المرأة وأزمة البيئة. هذا التيار، الذي لفت انتباه النقاد في العقود الأخيرة، يسلّط الضوء على العلاقة المتلازمة بين المرأة والطبيعة والإضطهاد الذي يلحق بهما من قبل المجتمع الأبوي. تقدم لطفية الدليمي في روايتها سيدات زحل، سردًا قويًا يعكس معاناة النساء العراقيات وسط الحرب والفوضى. لكن هذا العمل الأدبي ليس مجرد رواية شخصية، بل هو مرآة تعكس التشابك العميق بين معاناة المرأة وتدمير البيئة.من خلال القراءة الإيكوفيمينستية لهذه الرواية، نستطيع إدراك عمق العلاقة بين اضطهاد المرأة وتدمير البيئة. ففي الرواية، لا تصوّر النساء كضحايا للحرب والعنف فحسب، بل أيضًا كحارسات للطبيعة يتحدّثن بلسان الطبيعة ويعدّنها جزءًا لا يتجزأ من هويتهن. أشجار النخيل والتوت والأرز والزهور والحيوانات، كلها رموز لهذه العلاقة المتينة وعندما تدمّر الطبيعة، تجرح النساء أيضًا وهذا الجرح دليل على الظلم البنيوي الذي يقع عليهما معًا.

يظهر النمط المتكرر في الرواية كيف أن العنف ضد المرأة والطبيعة وجهان لعملة واحدة. فالحرب، بوصفها رمزًا للهيمنة الذكورية والنظام الأبوي، تلحق الضرر بالمرأة والبيئة معًا. تدمير المنازل والحقول والحدائق هو في الحقيقة تدمير للمساحة التي تعيش فيها النساء وتمارسن حياتهن اليومية. تساعدنا الرؤية الإيكوفيمينستية على قراءة رواية سيدات زحل بشكل أعمق، حيث تتجاوز السرد الفردي لتصبح نموذجًا عالميًا للاضطهاد البنيوي الذي تستهدفه المرأة والطبيعة كضحايا مشتركة ومن خلال فهم هذه العلاقة، ندرك أهمية النضال من أجل عالم أكثر عدالة واستدامة، عالم تحترم فيه حقوق المرأة وحقوق البيئة في آنٍ واحد.

لا يقتصر الإيكوفيمينيزم على كشف أوجه التشابه بين اضطهاد المرأة واستغلال الطبيعة، بل يقدّم إطارًا نقديًا قويًا لفهم جذور الأزمات الاجتماعية والبيئية. ففي سيدات زحل، نرى كيف أن النظام الأبوي والعسكري لا يفصل بين السيطرة على جسد المرأة وموارد الأرض، بل يجعلهما ساحةً واحدة للهيمنة وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر في مفاهيم التقدّم والتنمية، التي غالبًا ما تقاس بمعايير ذكورية تهمش دور المرأة وتستنزف البيئة. فبهذا السّبب إن النضال النسوي البيئي ليس ترفًا فكريًا، بل ضرورة حيوية لبناء مستقبل تتوازن فيه العلاقة بين البشر والأرض. من خلال أعمال مثل رواية الدليمي، نفهم بأنّ تحرّر المرأة واستعادة البيئة وجهان لنفس المعركة: معركة ضد نظام قمعي يرى في كلٍ منهما مجرد مورد يجب استغلاله. فقط عبر تبني رؤية متكاملة، يمكننا تحقيق مصالحة حقيقية بين الإنسانية والطبيعة، وإرساء أسعار عالم يحفظ الكرامة للجميع.

المصادر

ابوت، پاملا؛ والاس، کلر (۱۳۸۷ش). جامعه شناسی زنان. ترجمه منیژه نجم عراقی، چاپ پنجم، تهران: نشر نی.

اسماعیل مصطفی، هەور (۲۰۲۵م). «النسوية البيئية في شعر المرأة العراقية المعاصر ديوان أغاني عشتار للشاعرة لميعة عباس أنموذجا»، مجلة جامعة رابرين، ص ۹۱۰- ۹۳٤).

اسماعیلی خوشمردان، زهرا؛ مزاری، نگار (۱٤۰۰ش). «بررسی گفتمان اکوفمینیسم در رمان رهش نوشته رضا امیرخانی براساس تحلیل گفتمانی فرکلاف»، نقد و نظریه ادبی، شماره ۱۲، ص ۵- ۲۷.

پارسا پور، زهرا (۱۳۹۲ش). درباره نقد بوم گرا، مترجمان عبدالله نوروزی، حسین فتحعلی، چاپ اول، تهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.

ـــ (۱۳۹۷ش). «نقد اکوفمینیستی داستان آبی ها»، پژوهشهای ادبی، شماره ٦۲، ص ۳۳- ۵۰.

ـــ (۱٤۰۰ش). «خوانش اکوفمینیستی داستان زنان بدون مردان»، جستارهای نوین ادبی، سال ٥٤، شماره ٤ ، ص ۲۷ - ٤٤.

پارساپور، زهرا؛ قلی پور، ربابه؛ خلیل اللهی، شهلا (۱۳۹٦ش). «خوانش اکوفمینیستی رمان اندوه جنگ با تکیه بر روابط فرهنگی و نمادین»، پژوهش نامه زنان، سال ۸، شماره ۳ (ویژه نامه)، ص ۱-۲۱.

پورخالقی چترودی، مهدخت (۱۳۸۰ش). «درخت زندگی و ارزش فرهنگ و نمادین آن در باورها»، مجله مطالعات ایرانی، شماره ۱، ص ۸۹-۱۲٦.

جواری، محمدحسن (۱۳۹۷ش). «نقد محیط زیستی در حوزه ادبیات با رویکرد تطبیقی»، دوفصلنامه پژوهش‌های ادبیات تطبیقی، دوره ٦، شماره ۲، ص ۱۲۸-۱٤۳

الدليمي، لطفيه (۲۰۱۵م). سيدات زحل، الطبعة الثالثة، عمان: دار فضاءات للنشر و التوزيع.

دوبووار، سیمون (۱۳۸۰ش). جنس دوم، ترجمه قاسم صنعوی، چاپ دوم، جلد اول، تهران: نشر توس.

دوستی، فرزانه (۱۳۹۸ش). «فلسفه بوم فمینیسم و پارادوکس ذات گرایی در آفرینش هنری: بازخوانی سه گانه فرهنگ، طبیعت، جنسیت در هنرهای تجسمی معاصر»، پژوهشنامه فرهنگستان هنر، شماره ۱۹، ص ۷۳- ۹۳.

ذکاوت، مسیح (۱۳۹۷ش). «درآمدی بر بوم فمینیسم: مطالعه موردی دو دوست و دیلینگ دیلینگ»، مطالعات ادبیات کودک دانشگاه شیراز، سال ۹، شماره ۲، ص ۵۵ - ۷٦.

شقعار، لمیس (۲۰۲٤م). «المقاربة النسوية للفلسفة البيئية: فاندا شيفا انموذجا»، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد ۱۲، العدد۲، ص ۵۲۹- ٥٤٤.

عاطفه پور، لیلا؛ اسپرهم، داود؛ پارساپور، زهرا (۱٤۰۲ش). «خوانش رمان کلیدر با رویکرد اکوفمینیسم اجتماعی»، ادبیات پارسی معاصر، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، سال ۱۳، شماره ۱، ص ۱۳۱- ۱۵۵.

عنایت، حلیمه؛ فتح زاده، حیدر (۱۳۸۸ش). «رویکرد نظری به مفهوم اکوفمینیسم»، مطالعات جامعه شناسی، سال ۲، شماره ۵، ص ٤۵- ٦۳.

مرادی، ایوب (۱٤۰۲ش). «خوانشی از رمان نوجوان هستی براساس رویکرد بوم فمینیسم»، مطالعات ادبیات کودک دانشگاه شیراز، سال ٤، شماره ۱، ص ۲۱۹- ۲٤٤.

مطر السطانی، ایمان؛ طارق العلی، زیاد؛ جلیل الجنابی، رواء (۲۰۱۹م). «نسق النسوية البيئية فی رواية حديقة الحياة للطفية الدليمی»، مجلة العلوم التربوية و الإجتماعية، ج ٦، ع ۲، ص ٦۲٦ - ٦٥۲.

منجم، رویا (۱۳۸۱ش). زن- مادر؛ نگاهی متفاوت به مسأله زن، چاپ اول، تهران: نشر مس.

نجات، مهسا؛ صدرالدین، طاهری (۱٤۰۱ش). «اکوفمینیسم در هنر معاصر ایران مورد واکاوی: رویداد پرسبوک»، جامعه شناسی هنر و ادبیات، دوره ۱٤، شماره ۲، ص ۱٦۱- ۱۸۱.

النشار، مصطفى (۲۰۱۹م). «النسوية الايكولوجية مسعى نقدي لتظهير مبانيها ومعاثرها»، الاستغراب، ١٦.

هوليمانس، ديرک؛ عثمان، فيلسان؛ مونيک فرانسن، مارى(۲۰۲۳م). من وحي النسوية البيئية، ترجمه: رحاب منى شاكر، الجمهورية.

References

Abbott, Pamela; Wallace, Claire (2008). Sociology of Women. Translated by Manijeh Najm Iraqi, 5th edition, Tehran: Nashr-e Ney.

Al-Dulaimi, Lutfiya (2015). Ladies of Saturn, 3rd edition, Amman:Dar Fada'at for Publishing and Distribution.

Al-Nashar, Mustafa (2019). Ecological Feminism:A Critical Effort to Reveal Its Foundations and Obstacles. Al-Istighrab, No. 16.

Atefehpour,Leila;Esperham,Davoud;Parsapour, Zahra(2023).Reading the Novel Kalidar with a Social Ecofeminist Approach. Adabiyat-e Parsi-ye Mo'aser, Pazhouheshgah-e Olum-e Ensani va Motale'at-e Farhangi, Vol. 13, No. 1, pp. 131–155.

de Beauvoir, Simone (2001). The Second Sex. Translated by Ghasem San'avi, 2nd edition, Vol. 1, Tehran: Nashr-e Tous.

Doosti, Farzaneh (2019). Ecofeminist Philosophy and the Paradox of Essentialism in Artistic Creation: Rereading the Triad of Culture, Nature, and Gender in Contemporary Visual Arts. Pazhouhesh-nameh-ye Farhangestan-e Honar, No. 19, pp. 73–93.

Enayat, Halimeh; Fathzadeh, Heydar (2009). A Theoretical Approach to the Concept of Ecofeminism. Motale'at-e Jame'eh-shenasi, Vol. 2, No. 5, pp. 45–63.

Esmaeili Khoshmardan, Zahra; Mazari, Negar (2021). Analyzing Ecofeminist Discourse in the Novel Rahsh by Reza Amirkhani Based on Fairclough's Discourse Analysis. Naqd va Nazariyeh-ye Adabi, No. 12, pp. 5–27.

Holimans, Dirk; Othman, Filsan; Monique Franssen, Marie(2023). Inspired by Ecofeminism. Translated by Rihab Mani Shaker, Al-Jumhuriyah.

Ismail Mustafa, Hawar (2025). Ecofeminism in the Poetry of Contemporary Iraqi Women: The Collection Songs of Ishtar by Poet Lami'a Abbas as a Model. Majalleh-ye Jame'eh-ye Raparin, pp. 910–934.

Javari, Mohammad Hassan (2018). Environmental Criticism in the Field of Literature with a Comparative Approach. Dofaslnameh-ye Pazhouhesh-ha-ye Adabiyat-e Tatbiqi, Vol. 6, No. 2, pp. 128–143.

Manjam, Roya (2002). Woman-Mother; A Different Look at the Issue of Woman, 1st edition, Tehran: Nashr-e Mas.

Matar Al-Sattani, Iman; Tariq Al-Ali, Ziyad; Jalil Al-Janabi, Rawa (2019). The Pattern of Ecofeminism in the Novel The Garden of Life by Lutfiya al-Dulaimi. Majalleh-ye al-Olum al-Tarbawiyyah wa al-Ijtima'iyyah, Vol. 6, No. 2, pp. 626–652.

Moradi, Ayoub (2023). A Reading of the Young Adult Novel Hasti Based on an Ecofeminist Approach. Motale'at-e Adabiyat-e Koodak, Shiraz University, Vol. 4, No. 1, pp. 219–244.

Nejat, Mahsa; Sadreddin, Taheri (2022). Ecofeminism in Contemporary Iranian Art Case Study: Parsbook Event. Jame'eh-shenasi-ye Honar va Adabiyat, Vol. 14, No. 2, pp. 161–181.

Parsapour, Zahra (2013). On Ecocriticism. Translated by Abdollah Norouzi and Hossein Fathali, 1st edition, Tehran: Pazhouheshgah-e Olum-e Ensani va Motale'at-e Farhangi.

Parsapour, Zahra (2018). Ecofeminist Critique of the Story The Blues. Pazhouhesh-ha-ye Adabi, No. 62, pp. 33–50.

Parsapour, Zahra (2021). An Ecofeminist Reading of the Story Women Without Men. Jostar-ha-ye Novin-e Adabi, Vol. 54, No. 4, pp. 27–44.

Parsapour, Zahra; Gholipour, Robabeh; Khalilollahi, Shahla (2017). Ecofeminist Reading of the Novel The Sorrow of War Relying on Cultural and Symbolic Relations. Pazhouhesh-nameh-ye Zanan, Vol. 8, No. 3 (Special Issue), pp. 1–21.

Pourkhalqi Chatroudi, Mahdokht (2001).The Tree of Life and Its Cultural and Symbolic Value in Beliefs. Majalleh-ye Motale'at-e Irani, No. 1, pp. 89–126.

Shaq'ar, Lamis (2024). The Feminist Approach to Environmental Philosophy: Vandana Shiva as a Model. Majalleh-ye al-Hikmah lil-Dirasat al-Falsafiyyah, Vol. 12, No. 2, pp. 529–544.

Zakavat, Masih (2018). An Introduction to Ecofeminism:Case Study of Two Friends and Diling Diling. Motale'at-e Adabiyat-e Koodak, Shiraz University, Vol. 9, No. 2, pp. 55–76.